مجلة "آفاق فكرية"

ص. ص. 472 - 487

رت م د: 2353 - 0367

رت م د إ: 2602-5507

# رأس المال المدرسي: دراسة مفاهيمية

# School capital: conceptual study

**طا. با. بلحاوي فايزة [1] *، كيم صبيحة [2]**

[1] جامعة جيلالي ليابس بسيدي بلعباس (الجزائر)، مخبر الدراسات والبحوث الاجتماعية في الجزائر، faiza.belhaoui@univ-sba.dz

[2] جامعة عبد الحميد بن باديس بمستغانم (الجزائر)، kimesabiha@yahoo.fr

**تاريخ الاستلام:** 2021/07/24 **تاريخ القبول:** 2021/09/20 **تاريخ النشر:** 2021/12/30

**ملخص:**

يهدف هذا المقال إلى تقديم رؤية تحليلية لمفهوم رأس المال المدرسي، من خلال إظهار المعنى الذي اتخذته فكرته، والذي أصبح يترجم إلى استخدام عام يتجاوز المؤسسة المدرسية، ليعبر عن أبعاد هيمنة أسرية، لتقديم في الأخير تعريف إجرائي لهذا المفهوم؛ يسبق ذلك عرض للتطور الذي طرأ على مفهوم رأس المال كمدخل لفهم الرؤى المختلفة التي اهتمت بمفهوم رأس المال المدرسي، والمفاهيم المرتبطة برأس المال خاصة منها ما له علاقة برأس المال المدرسي.

فبعدما أشار إليه بورديو (P. Bourdieu) في السبعينات، أصبح مصطلح رأس المال المطبق على المدرسة، مفهوما في الاستخدام الحالي في السوسيولوجيا المعاصرة وسوسيولوجيا التربية بشكل خاص، ليمثل تصوراً كعامل توضيحي لإعادة الإنتاج الاجتماعي من قبل الأسرة من ناحية، وللتوزيع الاجتماعي الغير متساوي للثروة المعرفية من ناحية أخرى، وأخيرا لبُعد من كيان الفرد يشرّع للتمايز، مُكتسب من خلال الهابيتوس، رأس المال الاجتماعي، رأس المال البشري، رأس المال الفكري والإبداعي.

**كلمات مفتاحية:** رأس المال- رأس المال المدرسي- الأسرة- الثقافة- المدرسة.

**Abstract:**

This article aims to present an analytical vision of the concept « school capital », by showing the chronology of the concept capital, then clarifying the idea of this new concept, whitch has become a multifonction concept exceeds the use of school institution, to express the family domination in society, by presenting its relationship with cultural capital, social capital, human capital, intellectual and creative capital

After it was referred to by P. Bourdieu in the seventies, the term « school capital » became understood in current use in contemporary sociology and sociology of education in particular, as an explanatory factor for social reproduction by the family, for the unequal social distribution of knowledge, and finally for a dimension of the individual's being that legitimizes differentiation.

**Key words:** Capital- school capital- family- culture- school.

* المؤلف المرسل.

**مقدمة**

أدى النمو الحديث وانتشار المعرفة إلى مرحلة جديدة من الرأسمالية، تعبر عن قيم الجدارة التي تقوم عليها المجتمعات العصرية الديمقراطية، لكن مع ذلك لم تغير -الرأسمالية- الهياكل العميقة لرأس المال وعدم المساواة، أو على الأقل ليس بقدر ما كان يُتخيَّل منذ عقود، فأصبح يُستخدم مصطلحات جديدة، يحمل كل مصطلح فيها مفاهيم مرتبطة بما جاء به كارل ماركس (Karl Marx) وبيير بورديو (Pierre Bourdieu) من بعده، لكن تعبر في الوقت نفسه عن خصائص معينة وتصور وبنية مرتبطة خاصة بالفرد حامل رأس المال، إننا نتحدث عن رأس مال مكتسب أعطيت له وظائف جديدة، فأصبح يُستثمَر فيه ويُراكَم كمورد جديد من طرف حامله والفضاء الموجود فيه.

من المجتمعات الشمولية التقليدية إلى المجتمعات الفردانية المعاصرة هناك دائما تركيز على الإرث الذي يحدد قيمة الجماعة الأسرية، ومهما كان العصر أو الفترة الزمنية الموجودة فيها الأسرة، فإنها تساهم في إعادة إنتاج النظام الاجتماعي وإعادة إنتاج اللامساواة الاجتماعية، يكمن الاختلاف فقط في وسائل تحقيق هذه اللامساواة، حيث تغيرت طرق نقل الإرث وتغير معها تدريجيا أيضا طبيعة رأس المال الذي يُنقل.(De Singly, 2007, p.89)

فلقد أفسح رأس المال الاقتصادي المجال لرأس مال من نوع آخر هو رأس المال المدرسي كعنصر يجعل ذلك ممكنا، بما في ذلك من حيث الشرعية، أصبحت تهدف الأسرة المعاصرة من خلاله إلى التطوير الشخصي للأبناء لتحقيق النجاح الاجتماعي الذي يمر عبر سلم النجاح المدرسي، بإتباع استراتيجيات واضحة وعمل تربوي محدد، وكنتيجة أصبح يحكم المجتمع اليوم نمط إنتاج ذو مكون مدرسي هو رأس المال المدرسي، تساهم به الأسرة في إعادة إنتاج التفاوتات الاجتماعية.

رأس المال المدرسي هو مفهوم مركزي في علم اجتماع الممارسات التربوية، يتم حشده لمراعاة الممارسات الثقافية أو المسارات التعليمية والاجتماعية. هناك ميزتان تميّزان تاريخ هذه الفكرة، التموقع التدريجي في علم اجتماع بيير بورديو: انطلاقا من المفاهيم الأولية "للمعرفة" و"مستوى التعليم"، وعدم وجود تعريف واسع من حيث المحتوى: لا يوجد نص يجعل من الممكن معرفة ما إذا كان رأس المال المدرسي يشير بدقة إلى مفهوم أو إلى بعد معين، هذا ما يدفعنا للتساؤل حول ماهية رأس المال المدرسي؟ كيف يتشكل؟ وكيف يستطيع أن يخلق القيمة الاجتماعية؟

## 1. مفهوم رأس المال... من الطرح الكلاسيكي إلى الطرح المعاصر:

استنادا إلى تاريخ الفكر الاقتصادي وحتى يومنا هذا، يفرض رأس المال نفسه كمفهوم في عدة مجالات، فيظهر كمفهوم أساسي في النظرية الاقتصادية، حيث أن المصطلح له شيء مألوف يستحضر دائما الثروة، ويظهر أيضا ككلمة مفتاحيه في النظرية الاجتماعية، فيستخدم بشكل أساسي للإشارة إلى إحدى الفئات المركزية لنقد ماركس للاقتصاد السياسي وبشكل خاص للإشارة إلى أعمال بورديو من بعده، لكن هذا التنوع في الاستخدام يترك المجال مفتوحا لمسألة تحديد مفهوم رأس المال، أو ما الذي يجعله رأس مال؟ فكل مجال من العلوم يُعرِّفه انطلاقا من أفكاره ونظرياته ورؤية مفكريه ليقدم في الأخير تعريف خاص به، يجعل من الصعوبة تقديم تعريف توافقي لهذا المفهوم بشكل دقيق وواضح.

### 1.1. المستوى الفلسفي:

إنّ رأس المال كفكرة وكلفظ في حد ذاته لم يكن موجودا منذ القدم، وإنما ارتبط بالاقتصاد الذي كان له الدور الكبير في ترسيخه كمفهوم يعبر عن ثروة، وبالتالي عن قيمة لها الفضل في ترسيخ دورة الحياة الاقتصادية الحديثة والمعاصرة، إذ لطالما اندرج المفهوم تحت مبحث القيم التي حتى وإن ضاع معناها الجوهري عبر التاريخ، إلا أنها تظل مسألة موجودة منذ الأزل، فالفكر ليطرح معنى القيمة منذ أن تساؤل عن شأن الوجود وقيمته.

ومما لاشك فيه أن الفكرة الفلسفية لرأس المال كقيمة ترتكز على النظرة الخاصة من تصور القيمة ومكانتها، يشير إليها (العوا، 1986) بأنها نشاط ذهني يتصور أمرا ذا شأن ويسميه قيمة، لكن هذا التصور الفكري متصل أشد الاتصال بالفعل، وما الفعل الواعي إلا استبصار واختيار يتم عن طريقه صنع الفكر، أي صنع اختيار القيمة وتحديدها.(ص.44)

فتصور السفسطائيون للقيمة بأنها متغيرة تتغير بتغير الظروف والأحوال، جعلهم يؤكدون بأنها ليست مطلقة وإنما نسبية تختلف باختلاف الأشخاص الذين يحملونها ويعبرون عنها، أما المدرسة الوجودية فردت القيمة إلى الإنسان وتصورتها كسمة إنسانية، بمعنى أنها تقوم على الفاعلية الإنسانية، وهي ليست مستقلة عنه، بل هو الذي يعطي الأشياء قيمة عندما يقرر اختيارها.(الخراز، 2014، ص.393)

وبهذا التصور تكون القيمة في المذاهب الفلسفية القديمة غاية في ذاتها، لكن ما يكون غاية سرعان ما يتحول إلى وسيلة؛ وبالفعل تغيرت القيمة في العصر الحديث عند **البراغماتيين** الذين أصبحوا يروا القيمة الحقيقية "**الثمن الذي يدفع نقدا**" أو "**قيمة على الصندوق**"، أو أنها نتائج أو فوائد من شأنها أن تستجيب لآراء رجل الشارع، فتحولت القيمة كفكرة تعبر عن الحالة المجردة التي وجدت عليها والتي كانت تعبر عن النظرة الخاصة والتصور والموقف من مكانتها، والمرتبط بمذهب أو اتجاه فلسفي معين، إلى الحالة الملموسة كبداية لفلسفة جديدة تعكس المعرفة والوجود المرتبط بها، وبالفعل عكست الفلسفة البراغماتية عقلية الإنسان العامي في أمريكا، حيث تبرز نظرة عملية واقعية هي نظرة التجار وأرباب العمل، شبه شارل لالو (Ch. Lalo) (الخراز، 2014، ص.395) هذه الغاية بفكرة "**الطاقة**" أو فكرة "**القوة**"، والقوة بالمعنى النيتشوي هي إرادة القوة المقومة للأشياء والموضوعات، وهي طاقة جينالوجية (تقويمية) يتعذر تحديدها كقوة إلا من خلال ظواهريتها (الظواهر ذاتها)، أي من حيث تأثيرها في نشاط الأفراد والجماعات في تطورها التاريخي، وفي نفس الوقت هي قوة وطاقة خلاّقة أي خالقة للقيم، فأصبحت القيمة في الفكر الحديث تتمثل في كيفية امتلاك الطبيعة والسيطرة عليها، وكيفية ممارسة هذه السيطرة.

بهذا المعنى يصبح رأس المال كفكرة يعبر عن قيمة نائمة يمكن إيقاظها بالتفكير في كيفية تحويلها، وأيضا في التفكير فيما يمكن أن تصنعه، هذه القيمة هي وليدة ضرورة تفرضها الطبيعة، تتغير بتغيرها ويتغير رأس المال معها، تتطلب جهد وممارسات لتحويلها من الحالة المجردة التي تكون عليها إلى الحالة الملموسة التي تصبح فيها، والتي تنتج في الأخير القيمة المطلوبة التي على أساسها يتحدد رأس المال، هي قيمة ذاتية أيضا ووسيلة لتحقيق غاية ذاتية، تختلف باختلاف الأفراد والجماعات واختلاف حاجاتهم أيضا من هذه القيمة، قوتها متمثلة في العناصر التي تحتوي عليها، ومرهونة بما تؤديه من خدمات.

### 2.1. المستوى السوسيولوجي:

يشير جورج ريتزر (Ritzer, 2005)، أن مصطلح رأس المال تبنته في بداية الأمر العلوم الاجتماعية والاقتصادية من لغة التجار اللاتينية الأصل والتي تعني رؤوس الماشية أو غيرها من أشكال الثروة الحيوانية، التي كانت دائما مصادر مهمة للثروة في العصور القديمة، كسلعة يتم من خلالها تقدير وتقييم جميع السلع الأخرى، ثم بعد ذلك أصبحت تستخدم كلمة رأس مال للإشارة

إلى **"المال"** أو **"استثمار المال"**؛ (p.75) مع ذلك وعبر تاريخ الاقتصاد السياسي، لم يستطع الاقتصاديون الاتفاق على تحديد مفهوم واحد لرأس المال بل اختلف المفهوم باختلاف الاتجاه الاقتصادي السائد وباختلاف أفكار وتصور كل مدرسة عن رأس المال والقيمة المرتبطة به، من بين الاتجاهات التي سادت في الفترة ما بين منتصف القرن الخامس عشر وحتى منتصف القرن الثامن عشر، نشأت **المريكانتيلية (Mercantilism)** (الكفري، 1439هـ، ص.209) كفلسفة وكإيديولوجية اقتصادية مُمثلة للبرجوازية التجارية، تحمل مجموعة من الأفكار تعبر عن الفكر الاقتصادي في تلك الفترة، من بين أفكارها أن الأسواق ثابتة وليست مستمرة النمو، مما يعني أنه لزيادة الحصة في السوق ينبغي أخذ حصص من حصة الآخر، وباعتبار أن الثروة هي المعدن الثمين (الذهب والفضة) فعلى الدولة -من خلال ممثلي البرجوازية التجارية- مهمة العمل على زيادة احتياطي الذهب والفضة باحتكار الثروة، من خلال تجميع أكبر قدر من الذهب والفضة والاحتفاظ به وزيادته بمنع تصديره.

وبعكس ما كان سائد في العصور الوسطى أن النقود هي رأس المال (رأس المال النقدي)، تأكد **الميركانتيلية** أن لا فرق بين الثروة النقدية ورأس المال، والتفتوا إلى رأس مال من نوع آخر هو **رأس المال التجاري** الذي يعمل في نطاق التداول فقط ،فالهدف هنا من رأس المال ليس قيمة الاستخدام ولكن أكثر قيمة التبادل، حيث تكون وظيفته هي الوساطة وليس التحكم في الإنتاج.

هوجمت فيما بعد السياسة **الميركانتيلية** على أساس التناقض المنطقي في مبادئها، وبدأ الفكر التجاري في التراجع والاضمحلال بظهور فلسفات وأفكار جديدة تنادي بنبذ فكرة تدخل الدولة في شؤون الاقتصاد مهدت لتطور مذهب جديد هو **المدرسة الطبيعية** أو **الفيزيوزقراطية Physiocrats** (الكفري، 1439هـ، ص.211)، وهي مدرسة أسسها عدد من الفلاسفة كثورة ضد **الميركانتيلية** التي ركزت على التجارة بإهمالها الزراعة، لكن لم تقتصر الثروة عند الفيزوقراطيين على الزراعة، بل درسوا الإنتاج الصناعي وبرهنوا على أن الإنتاج المادي والعمل هما المصدر الرئيس لثروة الشعوب.

أولى هذا الفكر الجديد الاهتمام بالطبيعة، لكن تزامنا مع التطورات الصناعية في القرن الثامن عشر، تحولت الصناعة إلى القطاع الرائد في التطور الاقتصادي للعالم المعاصر،هذا ما انعكس على المدرسة الطبيعية التي حددت مفهوم رأس المال على أنه الآلات والمواد الأولية وغيرها من العناصر المادية المستخدمة في عملية الإنتاج، فالثروة الحقيقية هي مجموعة الأموال المادية

الصالحة للاستهلاك والتي تخلقها الأرض سنويا، ودور الصناعة تحويل قسم من هذه الثروة ونقله، فالتفتوا بذلك إلى **رأس المال الإنتاجي** أو **رأس المال الصناعي**.

**الفيزيوقراطية** بصفة عامة لم تطور تصورا لرأس المال أبعد من عناصره المادية كالمعدات والمواد الأولية وأجرة العامل الفلاحي، وحررت بذلك مصطلح رأس المال من **رأس المال النقدي** واستخدموه دون تمييز للمال والأشياء الأخرى -لم يكن مفهوم **رأس المال النقدي** موجودا بالنسبة لهم- (Ritzer, 2005, p.75)، لكن شكّلت مع ذلك أول تصور منهجي للإنتاج الرأسمالي؛ هوجمت **الفيزيوقراطية**، ممهدةً الطريق لظهور التيار الاقتصادي السياسي الكلاسيكي بزعامة **آدم سميث**.

ظهرت المدرسة الكلاسيكية كنتيجة للتطورات التي حدثت في الحياة الاقتصادية والاجتماعية الأوروبية، حيث تطور الاقتصاد الأوربي الإقطاعية إلى الرأسمالية التجارية، لكن الرأسمالية التجارية بذاتها تطورت في القرن الثامن عشر إلى الرأسمالية الصناعية، عندما وُلد الاقتصاد السياسي الكلاسيكي خاصة مع بداية القرن التاسع عشروكانت مسألة توزيع الثروة بالفعل في قلب جميع التحليلات، حيث بدأت التحولات الراديكالية متمثلة في النمو الديموغرافي المستدام، بدايات النزوح الريفي والثورة الصناعية والتكنولوجية (التقنية) المتصاعدة وتطور العلوم والمخترعات، فلم تعد الأفكار الاقتصادية آنفا تلاؤم الوضع الاقتصادي الجديد، بحيث بدأ الفكر البورجوازي الاقتصادي بدراسة أموال الإنتاج على أنها رأس المال منذ أواخر القرن الثامن عشر، وعَرَّفوا الإنتاج بأنه خلق المنافع أو زيادتها، وبذلك خرجوا عن آراء التجاريين والطبيعيين معا في تحديد مفهوم الثروة والإنتاج، وأصبح الشكل العيني للثروة هو الأساس وليس الشكل النقدي لها نتيجة الزيادة الهائلة في إنتاج السلع والخدمات المنتجة.

من بين أهم الكلاسيكيين نجد أدم سميث (Adam Smith) ودافيد ريكاردو (David Ricardo) (جمعة، ب س ن، ص.105)، الذي صنّف رأس المال على أنه عمل متراكم نتاج جهود الإنتاج السابقة، مؤكدا أن رأس المال ما هو إلا عملا متجسداً في أداة أو مادة، ليُستخدم من جديد في عملية إنتاج جديدة، فاستبعده من عملية تكوين القيمة (العمل هو الأساس الوحيد للقيمة).

أخذ المؤلفون الاشتراكيون أمثال كارل ماركس (Karl Marx) فكرة ريكاردو أن رأس المال هو عمل متراكم ضد المصالح البورجوازية ورأس المال نفسه، وافترض ماركس علاقة منطقية متبادلة

بين رأس المال والعمل، حيث لم يكن رأس المال عاملا من عوامل الإنتاج فحسب، بل كان أيضا علاقة اجتماعية حقيقية، يشير ماركس إلى هذا بقوله: «رأس المال ليس شيء*، بل هو علاقة إنتاج اجتماعي محددة، تنتمي إلى تكوين تاريخي محدد للمجتمع، يتجلى في شيء ويضفي على هذا الشيء طابعاً اجتماعياً محدداً» (Ritzer, 2005, p.75)؛ فهو ليس وسيلة بحد ذاتها للإنتاج، بل علاقة اجتماعية بين الطبقات الرئيسية في المجتمع البورجوازي، إنه علاقة استغلال بين مالكي وسائل الإنتاج وبين العمال المأجورين، تتجلى هذه العلاقة في مظهرين: **رأس المال الثابت**، الذي يتكون من الأموال المنفقة على وسائل الإنتاج (أبنية، ماكينات، مواد أولية) وهو عمل متراكم، و**رأس المال المتحول** أو المتغير ، وهو رأس المال الذي يقابل تكاليف اليد العاملة، وبه يتم شراء قوة العمل، ويصبح رأس المال إذن هو: «القيمة التي تُحصِّل القيمة الفائضة بواسطة استغلال العمال المأجورين». (فرح، 1981، ص.75)

مع بداية القرن العشرين تحولت الرأسمالية إلى إمبريالية وهي أعلى مراحل تطور الرأسمالية، نشأ فيها **رأس المال المالي** الذي سيطر واحتكر على النشاط الاقتصادي والحياة السياسية في المجتمع البورجوازي، نتج عن هذا الاحتكار تكوُّن **رأس المال المالي**، بتمركز **رأس المال المصرفي** وحلول المؤسسات المصرفية الاحتكارية، دخل **رأس المال المصرفي** كشريك في ملكية المشاريع الصناعية وبالتالي اتحاده **برأس المال الصناعي** ليشكلان **رأس المال المالي**.

عموما، تعكس الرؤى السابقة فكرة أساسية مفادها أن رأس المال يشير في مختلف المراحل التي مرَّ بها إلى القوة الاجتماعية الحقيقية لأصحابه في التحكم في قوة العمل واستخدامها (القوة الاجتماعية المتجسدة من خلال القوة الاقتصادية)، لذلك مثَّل علاقة هيمنة تولت عملية الإنتاج نفسها وحولتها إلى وسيلة مباشرة لتوسيع رأس المال، ورأس المال بصيغة المفرد أصبح رؤوس أموال بصيغة الجمع كمنافسة وبحث دائم عن المزيد من الربح، أما طابع وحدود هذه المنافسة فهو ما شكّل التطورات الاجتماعية الاقتصادية العالمية وكذلك البنية الطبقية للمجتمع الحديث.

تطور بعد ذلك استخدام كلمة رأس المال بشكل ملحوظ وفي اتجاهات مختلفة، لقد كان امتداد هذه الاستخدامات لمصطلح رأس المال خاصة تنوعاته المختلفة كبيرا بالفعل، مَثّل هذا

* رأس المال في جوهر الأمر ليس "الأشياء" التي يتجسد بها، إذ أن الأشياء أو المنتجات وجدت في جميع العصور، وإنما هو تلك العلاقة الاجتماعية التي تتشكل بين طبقتين بخصوص هذه "الأشياء".

التطور نقلة نوعية عند انتقاله إلى علم الاجتماع، وأصبح يمثل عنصرا مهما في نظرية وتحليل الطبقات الاجتماعية، وهذا ما يتجسد على نحو واضح في رؤية بيير بورديو (Pierre Bourdieu) لمفهوم رأس المال، حيث كان لعالم الاجتماع ميزة تناول فكرة ماركس الأساسية عن رأس المال وشروط إعادة إنتاج رأس المال، من خلال تزويده بتحليل مُعمق ومن جوانب مختلفة، يساعد في فهم علاقات الهيمنة في المجتمع، بالتأكيد على أهمية العوامل الثقافية والرمزية في آليات إعادة إنتاج التسلسلات الهرمية الاجتماعية، فقادت بحوثه إلى تمديد هذا المفهوم إلى مجالات أو حقول المجتمع العديدة (المدرسة بشكل خاص)، لتُفسر إعادة إنتاج هذه من خلال الاستراتيجيات المختلفة التي يتبناها الأعوان الاجتماعيون للحفاظ أو لامتلاك رأس المال بأنواعه المختلفة.

ينطلق بورديو (Bourdieu, 1979, p.13) من تساؤل حول طبيعة رأس المال أولئك الذين يشكلون طبقة الرأسماليين والذين يقفون في مواجهة الآخرين (مثال الصراع القائم بين الطبقة الحاكمة و الطبقة العاملة)، فبالنسبة إليه فإن **رأس المال الاقتصادي** الذي جاء به ماركس ليس فقط ملكية لوسائل الإنتاج، ولكن ملكية لكل أشكال الثروة المادية مضاف إليها صور أخرى من الثروة ممثلة في الأشكال الغير مادية لرأس المال، ولا تقل أهمية عن رأس المال الاقتصادي، وهي مزايا موروثة من البنية الاجتماعية والعائلية ك**رأس المال الثقافي**، **رأس المال الاجتماعي** و**رأس المال الرمزي**، يمكن تجسيد **رأس المال الثقافي** في الكتب، الأعمال الفنية... مدمجة في المهارات والكفاءات وأشكال المعرفة، أما **رأس المال الاجتماعي** فيُعد المصدر المتميز للنضال من أجل التمركز الاجتماعي، ينتج عن استخدام شبكة من العلاقات المؤسسية، أما **رأس المال الرمزي** فهو ما يسمح للفرد من الحصول على هالة معينة واعتراف اجتماعي في البيئة المحيطة به من خلال الجوائز أو الشهادات أو الألقاب.

أما في السنوات الأخيرة، فأصبحت تُستخدم مصطلحات جديدة لرأس المال مثل **رأس المال المدرسي**، **رأس المال الفكري**، **رأس المال المعرفي**، **رأس المال البشري**... جزئيا لتوصيف مرحلة جديدة من الرأسمالية تعبر عن فردانية العصر المعاصر، يحمل كل مصطلح فيها مفاهيم مرتبطة بما جاء به ماركس وبورديو من بعده، لكن تعبر في نفس الوقت عن خصائص معينة وتصور وبنية مرتبطة خاصة بالفرد حامل رأس المال، إننا نتحدث عن رأس مال "مخصص" وليس فقط

"مكتسب" أعطيت له وظائف جديدة، فأصبح يُستثمر فيه ويُراكَم كمورد جديد من طرف حامله والفضاء الموجود فيه بغض النظر عن الطبقة المنتمي إليها أو جنسه أو سنه أو دينه أو عرقه .

وبشكل عام وكتعريف توافقي يمكن القول أنّ رأس المال عبارة عن ثروة مالية، تحولت ضمن أوضاع اقتصادية واجتماعية محددة إلى رأس مال، يعبر عن كل قيمة تحقق لمالكها قيمة مضافة، فهو مفهوم غير ثابت بل متغير يعكس في كل مرحلة من مراحل تغيره حالة التطور والعلاقات الاجتماعية لمجتمع معين، وبالتالي أصبح يشمل جميع أشكال الثروة التي يمكن أن يمتلكها الفرد (أو مجموعة من الأفراد) مسبقا، والتي يمكن نقلها أو تبادلها وفق قواعد وظروف معينة.

تغيّر تكوينه وتغيرت خصائصه وأشكاله عبر الزمن، لكن ظلّ يعبر عن قيمة تعطي لصاحبها الأفضلية والتميز عن أولئك الذين لا يمتلكونها، أما العائد من هذه القيمة فهو القوة الرمزية الخفية والمشرعنة من طرف المجتمع، والتي تمنح حاملها سيطرة وهيمنة اجتماعية، وبالتالي مكانة اجتماعية أفضل من السابق.

### 2. رأس المال المدرسي/ الفكرة والمفهوم:

تشبه الأسرة التقليدية الأسرة المعاصرة خاصة في وظيفتها العالمية كمساهمة في إعادة الإنتاج البيولوجي، و أيضا من خلال وظيفة المساهمة في إعادة الإنتاج الاجتماعي للمجتمع، هذه المساهمة سواء كانت بشكل مبسط أو موسع، فإنها تتم من خلال إرث الأسرة، ومن خلال أيضا المحاولة من جيل إلى آخر الحفاظ وتحسين إن أمكن وضع الأسرة في الفضاء الاجتماعي.

يكمن الاختلاف بين الأسرتين في أن وسائل تحقيق وتحسين الوضع الاجتماعي قد تغيرت، وتحولات المجتمع نتج عنها تحولات في طرق نقل الإرث، فيبدو أن الأسرة الحديثة قد تحررت من مخاوف النقل أو الانتقال بين الأجيال من سلسلة خط العائلة، وأصبحت أقل ارتكازا على الموروث الاقتصادي، كون رأس المال الاقتصادي أصبح يلعب دور أقل في اشتغال المجتمعات العصرية، لكن في المقابل، نحتت هذه التحولات شكل جديد لرأس المال يتمثل في رأس المال المدرسي كمحدد لمكانة الأسرة في التسلسل الهرمي الاجتماعي من خلال الشرعية التي أعطتها له المدرسة. (De Singly, 2007, p.93)

فتحول نمط الإنتاج، من نمط إنتاج اقتصادي إلى نمط إعادة إنتاج غالبا مدرسي، تتحدد قيمة الأسرة فيه من خلال مقدار رأس المال المدرسي الذي يشغله جميع أعضاء الأسرة، كسمة للمكانة ورسم دخول حقيقي، يلعب دوراً حاسما في تحديد قيمة الأفراد دون قمع أهمية وعمل الثروات الأخرى.

في السطور الأخيرة من مقالته، أشار بورديو (Bourdieu, 1979, p.5) إليه بتقديمه كنوع جديد من رأس المال، هو رأس المال المدرسي الذي يحل بالكامل محل رأس المال الثقافي في شكله المؤسسي، بمعنى آخر، استبدل الشكل المتجسد لرأس المال الثقافي بالهابيتوس، وترجم الشكل أو الحالة المؤسسية لرأس المال الثقافي إلى رأس مال مدرسي، لكن لم يقدم تعريف لهذا المفهوم، فقط أشار أنه يفهم من خلال بعده المؤسسي، فيكفي التفكير في المنافسة، التي بدءاً من سلسلة الاختلافات المتناهية الصغر بين الأداء، تؤسس فرقا جوهريا بين الكفاءة المعترف بها والمضمونة قانونا (يقصد الشهادة التعليمية) ورأس المال الثقافي البسيط الذي يسعى باستمرار لإثبات قيمته، فهل يعبر هذا المفهوم عن رأس المال الثقافي أم عن الشهادة؟

### 3. علاقة رأس المال المدرسي بالرساميل** الأخرى:

#### 1.3. رأس المال المدرسي ورأس المال الاجتماعي:

تشير صوفي بونتيو (sophie, 2006) إلى رأس المال الاجتماعي نقلا عن ما جاء به بورديو، على أنه مجموعة من الموارد الحالية أو المحتملة، المرتبطة بامتلاك شبكة دائمة من العلاقات المؤسسية إلى حد ما للمعرفة المتبادلة و التعارف المتبادل؛ بعبارة أخرى، هو الانتماء إلى مجموعة لا تتمتع فقط بخصائص مشتركة، ولكن أيضا توحدهم روابط دائمة ومفيدة، يعتمد حجمه على مدى امتلاك فرد معين، ليس فقط شبكة الروابط التي يمكنه حشدها بفعالية، ولكن أيضا على حجم رأس المال الاقتصادي، الثقافي، وحتى الرمزي المتمثل في الهالة والاعتراف الاجتماعي كعلامة هيبة أو بريستيج من خلال الدرجات المدرسية المتحصل عليها، الشهادات التعليمية، أو الألقاب، الذي يمتلكه والذي يمارس تأثيرا مضاعفا على رأس المال الذي يمتلكه.(p.35)

** يشير معنى رساميل إلى مجموع رأس المال، ذكره بوبكر بوخريسة في كتابه سوسيولوجيا بيير بورديو ص. ص.112-113.

علاقة رأس المال المدرسي برأس المال الاجتماعي علاقة تبادلية، تعتمد فيها قيمة رأس المال المدرسي على قيمة رأس مال الاجتماعي للأسرة ككل، حيث تتجنّد هذه الأخيرة من خلال وظيفتها العلائقية للمساهمة في إنتاج رأس المال المدرسي للأبناء معتمدة على المجتمع، وبالتالي على الموارد التي يتم حشدها من خلال شبكة العلاقات الأسرية، وهي أيضا إستراتيجية أسرية للاستثمار الاجتماعي، موجهة بوعي نحو إقامة والحفاظ على العلاقات الاجتماعية التي يمكن تعبئتها واستخدامها بشكل مباشر في التزامات دائمة، من خلال رأس المال المدرسي المُنتج.

### 2.3. رأس المال المدرسي ورأس المال الثقافي:

استلهم بورديو (Bourdieu, 1979, p.6) من التصنيف الماركسي رأس المال لتحديد ملامح رأس المال الثقافي، وهو مجمل الكفاءات الفكرية سواء تلك المُنتجَة من طرف المنظومة المدرسية أو الموروثة عن طريق الأسرة، يمكن أن يُوجَد رأس المال هذا في ثلاث مستويات:

- في الحالة المدمجة أو المتجسدة في الفرد، يكون في شكل تصرفات دائمة واستعداد دائم، يعبر عن الحالة الأساسية لرأس المال الثقافي المرتبطة بالجسد والتي تفترض التأسيس، مثل الوعي الذاتي، الأخلاق، اللغة، الثقافة، التصرفات...

- في الحالة الموضوعية التي يمتلك فيها رأس المال الثقافي عددا معينا من الخصائص، التي لا يمكن تحديدها إلا في علاقتها برأس المال الثقافي في حالته المتجسدة، تعبر هذه الخصائص عن ثروة ثقافية مثل امتلاك لوحات فنية، كتب، قواميس، آلات موسيقية... قابلة للنقل في الحالة المادية، لكن لا يكفي هذا فقط، فالأهم في هذه الحالة من رأس المال هي كيفية نقلها -الثروة الثقافية- وامتلاكها رمزيا من خلال معرفة طريقة استخدامها، فالتملّك الرمزي هو الذي يفترض رأس المال الثقافي.

- في الحالة المؤسسية والتي يكون فيها رأس المال الثقافي مُثمناً اجتماعيا، حيث يكون مكفول من قبل المؤسسة التعليمية في شكل شهادات، ألقاب مدرسية، كفاءات واستعدادات.

إن تجسيد رأس المال الثقافي في شكل ألقاب هو تحييد لبعض الخصائص التي يدين بها لحقيقة أنه عند دمجه مع شهادة المدرسة، هذه الشهادة من الكفاءة الثقافية تمنح لحاملها قيمة اصطلاحية، ثابتة ومضمونة قانونيا، يتشكل انطلاقا منها رأس المال المدرسي؛ من خلال منح رأس المال الثقافي لوكيل معين باعتراف مؤسسي، فإن اللقب أو الشهادة تجعل من الممكن مقارنة حامليها، وتجعل من الممكن أيضا تحويلها إلى رأس مال اقتصادي من خلال سوق العمل، لكن مرة أخرى لا يضمن امتلاك شهادة تعليمية الوصول إلى منصب محدد، فمن الضروري أيضا معرفة كيفية الاستفادة منها بشكل جيد، ومعرفة كيفية استخدامها في سوق العمل، انطلاقا من رأس ماله الثقافي المتجسد والموضوعي المكتسب، والمتمثل في طرق التفكير والتصرف، مهارات التعامل مع الآخرين، الأذواق، اللغة، الثقافة، الدراية في الحياة ...

### 3.3. رأس المال المدرسي ورأس المال البشري:

يُعبِر رأس المال البشري عن المعارف والقدرات والمهارات والكفاءات والخصائص الأخرى المتجسدة سواء فطرياً أم مكتسبة في الأفراد أو فئات معينة من الأفراد، بشكل غير رسمي من خلال الخبرة أو بشكل رسمي من خلال التعليم، الذي يشكل الأساس لبناء القدرات الفردية، وهو عملية تعلم مدى الحياة يعزز المعارف والكفاءات، عن طريق الأسرة والبيئة الاجتماعية والمدرسة.

بالنسبة لغاري بيكر (Becker, 1993)، يعد التعليم والتدريب من أهم الاستثمارات في رأس المال البشري، واعتمادا على ما إذا كان التعليم أساسي أم تدريب محدد (نظم التعليم النظامية وغير النظامية)، يتم تحديد تكلفة الاستثمار من خلال العائد الاقتصادي للفرد، والذي يختلف من أسرة إلى أخرى وفقا لطريقة استثمار كل واحدة من هذه الأسر في التعليم، وللاستثمار في التعليم تكاليف مباشرة وغير مباشرة يتحملها المتعلم والأسرة، يمكن تقييم هذه التكلفة من حيث العوائد الخاصة والاجتماعية للتعليم، كما يمكن تقدير العائد بالأرباح المادية والأرباح الغير مادية كالمكانة الاجتماعية. (p.p.11-16)

يصبح بذلك رأس المال المدرسي جزء من رأس المال البشري، عندما تستثمر الأسرة في رأس المال البشري الأولي (القدرات والاستعدادات القبلية أو الهابيتوس الأولي) من حيث الوقت والجهد والمال، وعن طريق اختيارات عقلانية من خلال التمدرس (التعليم كما ونوعا شرط ضروري لتنمية رأس المال البشري) كون الطفل في الفترة الأولى من تمدرسه يكون غير قادر على الاختيار، ثم تصبح

القرارات فيما بعد تشاركيه، وهي خيارات تعليمية عقلانية، تقارن فيها الأسرة على المدى الطويل القيمة الحالية للمكاسب المتوقعة من التعليم والتكاليف المتكبدة.

### 4.3. رأس المال المدرسي ورأس المال الإبداعي:

يتضمن رأس المال الإبداعي حسب سيباستيان شونتلو (Chantelot, 2006)، الملكية الفكرية والموجودات الغير ملموسة كالمواهب والقدرات القائمة على نزعة التخيل وإنتاج أفكار أو إنجازات مبتكرة ومُكيَّفة، تُدَّعِم هذه القدرات الفرد في تطوره الشخصي، وبالتالي تسمح له بتحقيق حالة الإنجاز المثلى، كمهارة تخدمه على المدى الطويل. (p.148)

إن عملية الإبداع هذه هي المسئولة عن تحويل المعرفة إلى مسار أو فكرة أو معرفة جديدة، كما أنها المحرك الضروري لإنتاج الحداثة بجميع أشكالها ويمكن تعريفها على أنها الاختيار من المعرفة الموجودة ودمجها معًا لإنتاج واحدة جديدة، تظهر هذه العملية بشكل أفضل في البيئات المفتوحة للأفكار الجديدة.

وبتوفير الأسرة البيئة الملائمة لتشجيع الإبداع والابتكار وخلق ثقافة إيجابية داعمة لإنتاج المعرفة، فإنها تعزز تنمية الفضول والتفكير النقدي وتقدير نشاط الفرد حامل رأس المال المدرسي، من خلال سلوكات تربوية تُمارَس خارج نطاق المدرسة، تَتَّبِعُ فيها الأسرة أسلوب تعليمي مرن لا يضع الطاعة والخضوع في المقدمة، بل تشجع فيه على فردانية الابن، والاستثمار في هذا الأخير لتشكيل فرد له القدرة على التفكير بشكل مغاير عن الآخرين. يُحدِد قيمة الاستثمار النسبي لرأس المال المدرسي، ويُنمِي الإبداع والقدرة على الابتكار، أما تمايز رأس المال المدرسي فهو الفارق في المنافسة المدرسية والاجتماعية.

انطلاقا ما سبق، يفرض رأس المال المدرسي نفسه كتكامل واندماج بين رأس المال الاجتماعي، رأس المال الثقافي، رأس المال البشري بما فيه رأس المال المعرفي ورأس المال الإبداعي، كما يتوضح في الشكل التالي:

**شكل1** *العلاقة بين رأس المال المدرسي والرساميل الأخرى.*

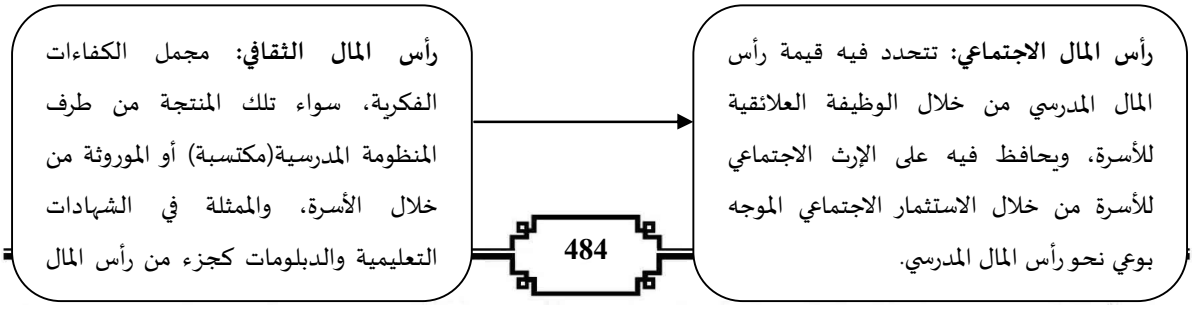

رأس المال البشري: المعبر عن المعارف والقدرات والمهارات والكفاءات المتجسدة في الفرد، والمُستَثمَر فيها من خلال الأسرة اعتمادا على المنظومة المدرسية؛ هو استثمار في المسار الدراسي عن طريق اختيارات عقلانية الغرض منها خلق التمايز والثقل النسبي لرأس المال المدرسي بتطوير المعارف المدرسية إلى مَلَكاتْ فكرية

**المصدر:** قد تم إنجازه من طرف المؤلفين.

حيث تعبر بنية رأس المال المدرسي عن الثروة المعرفية المتجسدة في الفرد، والتي تتشكل عبر سيرورة تبدأ من الأسرة، تتكوّن فيها البنية الأولية لهذه الثروة، من خلال غرس ودمج رأس المال الثقافي للجماعة الأسرية في الفرد، ثم تتواصل عبر مسار دراسي تسعى فيه المدرسة إلى تزويد الفرد بمختلف أشكال المعرفة والخبرات، والتي تتشكل انطلاقا منها البنية النهائية لرأس المال المدرسي والمعبّر عنها برأس المال البشري.

وحتى يُعترف بهذه البنية اجتماعيا، يعبر عنها بعلامة؛ يتعلق الأمر إذن بشهادة تضمن بها المدرسة القيمة العلمية للثروة المعرفية، وتكون سمة للمكانة الاجتماعية، ومع ذلك لا تخلق هذه الثروة القيمة المضافة المعبرة عن رأس المال المدرسي إلا إذا كانت تعبر عن فارق واختلاف عن الآخرين، لذلك وجب على الأسرة تطوير القيمة العلمية إلى ملكات فكرية إبداعية تخلق التمايز، بتنمية الثروة المعرفية، من خلال خلق أفضل بيئة تربوية ممكنة للفرد، والبحث عن أفضل إستراتيجية للاستثمار الاجتماعي المنهج والموجه بوعي في رأس المال المدرسي، عن طريق اختيارات عقلانية تلجأ فيها الأسرة لرأس المال الاجتماعي، من أجل الحفاظ على فرص الأبناء في شغل مكانة على الأقل مماثلة لتلك التي تشغلها.

**خاتمة:**

ينشأ رأس المال المدرسي داخل الحقل المدرسي الذي يحتاج إلى رأس مال من نوع مختلف، يكون له أبعاد ومكونات وخصائص وقانون خاص به أيضا، مختلف عن الرساميل الأخرى والحقول الأخرى، لكن في نفس الوقت صلة وصل بينها؛ يعبر رأس المال المدرسي عن قيمة ثقافية فكرية معرفية أدائية إبداعية متجسدة في رأس مال بشري، تنشأ داخل المدرسة يعبر عنها بشهادة الكفاءة الثقافية والمعرفية، والتي تمنح حاملها قيمة ثابتة ومضمونة (معترف بها)، تشهد على مستوى معين

من المعارف والكفايات التي تعبر عن مسار دراسي؛ هو رأس مال مكتسب، يختلف من شخص إلى آخر بحسب اختلاف القيم التي يعبر عنها، وباختلاف الرساميل التي تدخل في تشكله، فرأس المال المدرسي هو جزء من رأس المال الثقافي في شكله المؤسسي المعترف به وليس فقط رأس المال الثقافي البسيط، يتجسد في رأس المال البشري الذي يعبر عن المعارف والقدرات والمهارات والكفاءات المُدمجة في الفرد، وتتحدد قيمته من خلال رأس المال الاجتماعي وحجم الموارد الاقتصادية والاجتماعية المعبئة من طرف الأسرة.

بنية الحقل المدرسي هي حالة التنافس التي تؤسس لصراع خفي بين الفاعلين فيه، يتحدد رأس المال المدرسي فيها تبادليا بالتوزيع اللامتساوي، يتموقع التوزيع اللاعادل لهذا الرأس مال في قلب منافسات الحقل المدرسي بين أفراد يتقاسمون النشاط نفسه، لكن تختلف استراتيجياتهم التي توجه هذا التنافس، مغيّرة في البنية ككل وفي توزيع رأس المال المدرسي؛ تستثمر الأسرة كإستراتيجية تربوية في هذا الأخير، عن طريق اختيارات عقلانية واعية تشاركيه مع الابن حامل رأس المال تعكس فردانية الأسرة المعاصرة، من خلال ممارسات تربوية تعزز فيها تنمية الفضول والتفكير النقدي وتنمي الإبداع والقدرة على الابتكار، تستهدف الأسرة من خلال هذه الممارسات الاستحواذ على رأس المال المدرسي، الذي يتحدد في الوقت ذاته بالاستعدادات المستبطنة وبفضاء الممكنات داخل الحقل المدرسي والاجتماعي أيضا، معيدة تحديد طبيعة ومستوى ودور رأس المال هذا، بإعادة توزيعه جذريا حسب معايير جديدة مفروضة من خلال التمايز التكويني الذي يحدد قيمته.

أصبح لرأس المال المدرسي ثقل، ليس فقط في المجتمعات الأوروبية، بل وحتى المجتمعات العربية خاصة منها الجزائر، التي لم تعد ترتبط فيها مكانة الأسرة بحجم رأس المال المادي المملوك ، فالملاحظ أن التغيرات التي طرأت على الأسرة بما في ذلك من حيث البنية والتركيبة وحتى الشكل انعكست على طريقة تفكير وعقليات أفرادها، وأصبحت تعتمد على رأس المال المدرسي في تحقيق المكانة الاجتماعية الأفضل، من خلال رأس مالها الثقافي المتمثل في الوعي بأهمية المدرسة كوسيلة لتحقيق ذلك والوعي أيضا بأهمية المسار الدراسي، وبالتالي تستثمر في رأس المال هذا من خلال سيرورة وبناء منهجي وتفكير عقلاني ممنهج، كإستراتيجية تطمح من خلالها إلى رأسمالية جديدة ترجع اللامساواة المدرسية إلى الأسرة وليس المدرسة.

**قائمة المصادر والمراجع:**


1. Fronçois De Singly, 2007, sociologie de la famille contemporaine, Armand Colin, paris;
2. العوا، عادل ، (1986). العمدة في فلسفة القيم. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق؛
3. الخراز، فيصل بشير محمد . (2014). طبيعة الاكسيولوجيا أصنافها ومعاييرها، مجلة كلية الآداب، العدد الأول.
4. George Ritzer, 2005, encyclopedia of social theory, sage publications, united kingdom;
5. الكفري، مصطفى العبد الله، إبراهيم، غسان ، (1436هـ). المدخل الى علم الاقتصاد. منشورات جامعة دمشق، دمشق؛
6. جمعة، حمد لطفي، (ب س ن). محاضرات في تاريخ المبادئ الاقتصادية والنظامات الأوربية؛
7. فرح، إلياس، (1981). تطور الفكر الماركسي (ط6). دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت؛
8. Pierre Bourdieu, 1979, Distinction : a social critique of the judgement of taste (translated by Richard Nice), eighth printing, USA;
9. Pierre Boudieu, 1979, les trois états du capital culturel, Actes de la recherche en sciences sociales, vol30;
10. Sophie Ponthieux, 2006, capital social, éditions la decouverte, Paris;
11. Becker Gary, 1993, humain capital : a theoretical analysis with special references to education, the university of chicago press, Chicago;
12. Chantelot Sébastien, 2006, une gerographie de capital humain créatif en France;


**كيفية الاستشهاد بهذا المقال وفق نظام توثيق الجمعية الأمريكية لعلم النفس APA الإصدار السابع (7):**

بلحاوي، فايزة، وكيم، صبيحة. (2021). رأس المال المدرسي: دراسة مفاهيمية. *افاق فكرية*، سيدي بلعباس (الجزائر)، *9* (3)، 472-487 ؛ رابط المجلة *https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/396*